

النمور في اليوم العاشر

زكريا تامر، سورية

*ظهرت هذه القصة في مجموعة زكريا تامر، **النمور في اليوم العاشر** (بيروت: الآداب، 1978)، 54-58.

رحلت الغابات بعيداً عن النمور السجين في قفص، ولكنه لم يستطع نسيانها، وحدّق غاضباً إلى رجال يتحلّقون حول قفصه وأعينهم تتأمله بفضول ودونما خوف، وكان أحدهم يتكلّم بصوت هادئ ذي نبرة أمرية: "إذا أردتم حقاً أن تتعلّموا مهنتي، مهنة الترويض، عليكم ألا تنسوا في أيّ لحظة أن معدّة خصمكم هدفكم الأول، وسترون أنها مهنة صعبة وسهلة في آن واحد. انظروا الآن إلى هذا النمور. إنه نمور شرس متعجرف شديد الفخر بحريته وقوته وبطشه، ولكنه سيتغير، ويصبح وديعاً ولطيفاً ومطيعاً كطفل صغير، فراقبوا ما سيجري بين من يملك الطعام وبين من لا يملكه، وتعلّموا." فبادر الرجال إلى القول إنهم سيكونون التلاميذ المخلصين لمهنة الترويض.

فابتسم المروّض مبتهجاً، ثم خاطب النمور متسائلاً بلهجة ساخرة: "كيف حال ضيفنا العزيز؟" قال النمور: "أحضر لي ما أكله فقد حان وقت طعامي." فقال المروّض بدهشة مصطنعة: "أأمرني وأنت سجيبي؟ يا لك من نمور مضحك! عليك أن تدرك أني الوحيد الذي يحقّ له هنا إصدار الأوامر." قال النمور: "لا أحد يأمر النمور." قال المروّض: "ولكنك الآن لست نمراً. أنت في الغابات نمور، أما وقد صرت في القفص، فأنت الآن مجرد عبد تمثّل للأوامر وتفعل ما أشاء." قال النمور بنزق: "لن أكون عبداً لأحد." قال المروّض: "أنت مرغم على إطاعتي لأنني أنا الذي أملك الطعام." قال النمور: "لا أريد طعامك." قال المروّض: "إذن جع كما تشاء، فلن أرغمك على فعل ما لا ترغب فيه." وأضاف مخاطباً تلاميذه: "سترون كيف سيتبدل، فالرأس المرفوع لا يشبع معدة جائعة." وجاع النمور، وتذكّر بأسى أيام كان ينطلق كريح دون قيود مطارداً فرائسه.

وفي اليوم الثاني، أحاط المروّض وتلاميذه بقفص النمور، وقال المروّض: "ألست جائعاً؟ أنت بالتأكيد جائع جوعاً يعذب ويؤلم. قل إنك جائع فتحصل على ما تبغي من اللحم." ظلّ النمور ساكناً، فقال المروّض له: "افعل ما أقول ولا تكن أحمق. اعترف بأنك جائع فتشبع فوراً." قال النمور: "أنا جائع." فضحك المروّض، وقال لتلاميذه: "ها هو ذا قد سقط في فخّ لن ينجو منه." وأصدر أوامره، فظفر النمور بلحم كثير.

وفي اليوم الثالث، قال المروّض للنمور: "إذا أردت اليوم أن تنال طعاماً، نفّد ما سأطلب منك." قال النمور: "لن أطيعك." قال المروّض: "لا تكن متسرّعاً، فطلبي بسيط جداً. أنت الآن تحوص في قفصك، وحين أقول لك: قف،

فعليك أن تقف." قال النمر لنفسه: "إنه فعلاً طلب تافه ولا يستحق أن أكون عنيداً وأجوع." وصاح المرؤض بلهجة قاسية أمرة: "قف!" فتجمد النمر تَوّاً، وقال المرؤض بصوت مرح: "أحسنّت." فسّر النمر، وأكل بنهم بينما كان المرؤض يقول لتلاميذه: "سيصبح بعد أيام نمراً من ورق."

وفي اليوم الرابع، قال النمر للمرؤض: "أنا جائع، فاطلب مني أن أقف." فقال المرؤض لتلاميذه: "ها هو قد بدأ يحبّ أوامري." ثم تابع موجّهاً كلامه إلى النمر: "لن تأكل اليوم إلا إذا قلّدت مواء القطط." فكظم النمر غيظه، وقال لنفسه: "سأنتسلي إذا قلّدت مواء القطط." وقلّد مواء القطط، فعبس المرؤض، وقال باستنكار: "تقليدك فاشل... هل تعدّ الزمجرة مواء؟" فقلّد النمر ثانية مواء القطط، ولكن المرؤض ظلّ متجهّم الوجه، وقال بازدراء: "اسكت، اسكت! تقليدك ما زال فاشلاً. سأتركك اليوم تتدرّب على مواء القطط، وغداً سأمتحنك، فإذا نجحت أكلت، أما إذا لم تنجح فلن تأكل." وابتعد المرؤض عن قفص النمر وهو يمشي بخطى متباطئة، وتبعه تلاميذه وهم يتهايمسون متضاحكين. ونادى النمر الغابات بضراعة، ولكنها كانت نائية.

وفي اليوم الخامس، قال المرؤض للنمر: "هيا، إذا قلّدت مواء القطط بنجاح، نلت قطعة كبيرة من اللحم الطازج." قلّد النمر مواء القطط، فصقّ المرؤض، وقال بغبطة: "عظيم أنت تموء كقطّ في شباط." ورمى إليه بقطعة كبيرة من اللحم.

وفي اليوم السادس، ما أن اقترب المرؤض من النمر حتى سارع النمر إلى تقليد مواء القطط. ولكن المرؤض ظلّ واجماً مقطّب الجبين، فقال النمر: "ها أنا قد قلّدت مواء القطط." قال المرؤض: "قلّد نهيق الحمار." قال النمر باستياء: "أنا النمر الذي تخشاه حيوانات الغابات، أقلّد الحمار؟ سأموت ولن أنفد طلبك." فابتعد المرؤض عن قفص النمر دون أن يتفوه بكلمة.

وفي اليوم السابع، أقبل المرؤض نحو قفص النمر باسم الوجه وديعاً، وقال للنمر: "ألا تريد أن تأكل؟" قال النمر: "أريد أن أكل." قال المرؤض: "اللحم الذي ستأكله له ثمن، انهق كالحمار تحصل على الطعام." فحاول النمر أن يتدكّر الغابات، فأخفق، واندفع ينهق مغمض العينين. فقال المرؤض: "نهيقك ليس ناجحاً، ولكنني سأعطيك قطعة من اللحم إشفافاً عليك."

وفي اليوم الثامن، قال المرؤض للنمر: "سألقي مطلع خطبة، وحين سأنتهي صقّ إعجاباً." قال النمر: "سأصقّ." فابتدأ المرؤض إلقاء خطبته، فقال: "أيها المواطنون... سبق لنا في مناسبات عديدة أن أوضحنا موقفنا من كلّ القضايا المصرية، وهذا الموقف الحازم الصريح لن يتبدّل مهما تأمرت القوى المعادية، وبالإيمان سننتصر." قال النمر: "لم أفهم ما قلت." قال المرؤض: "عليك أن تُعجّب بكلّ ما أقول وأن تصقّ إعجاباً به." قال النمر: "سامحني. أنا جاهل أمّي، وكلامك رائع وسأصقّ كما تبغي." وصقّ النمر، فقال المرؤض: "أنا لا أحب النفاق والمنافقين، ستحرم اليوم من الطعام عقاباً لك."

وفي اليوم التاسع، جاء المروّض حاملاً حزمة من الحشائش، وألقى بها للنمر، وقال: "كُلْ!" قال النمر: "ما هذا؟ أنا من أكلي اللحم." قال المروّض: "منذ اليوم لن تأكل سوى الحشائش." ولمّا اشتد جوع النمر، حاول أن يأكل الحشائش، فصدمه طعمها، وابتعد عنها مشمئزاً، ولكنه عاد إليها ثانيةً، وابتدأ يستسيغ طعمها رويداً رويداً.

وفي اليوم العاشر، اختفى المروّض وتلاميذه والنمر والقفص، فصار النمر مواطناً، والقفص مدينة